نظام حماية الحدود في العصر الأموي

أ.م.د. عاصم أسماعيل كنعان كلية التربية / جامعة ديالى

المقدمة

إن نشأة أي نظام وتطوره لابد وأن يرتكز على أسس ومبادىء وقواعد تعطيه زخماً من القوة والأرتكاز وتدفعه الى الأستمرارية عبر المراحل التاريخية ، والحديث عن أي نظام في الدولة العربية الأسلامية وفي أي من عصورها المختلفة التي أمتدت قروناً من الزمن ، لم يكن وليد اللحظة بل هو وليد أمتدادات تاريخية رفدته بمظاهر القوة والأستمرار ، فالنظم الأسلامية ترجع في كثير من أصولها الى النظم العربية قبل الأسلام والتي سادت الجزيرة العربية وأطرافها في الممالك العربية كالمناذرة والغساسنة وما ساد في مملكة تدمر أو يرجع في بعض أصوله الى تلك النظم السائدة في البلاد المفتوحة شرقاً وغرباً لاسيما النظم الساسانية والبيزنطية أذ أقرت بعض هذه النظم وبما ينسجم مع قيم ومباديء الأسلام وأعتبرتها مظهراً لشخصية الأمة من حيث تقدمها وعوامل تطورها ومدى تأثيرها في مجرى التاريخ الأنساني للمجتمعات والشعوب الأخرى وهي تكشف عن طبيعة العقلية العربية وتطورها الفكري والحضاري ، ومن المؤكد أن نظام حماية الحدود لم يكن من مبتكرات العصر الأموي لأن الدول والأمم وعبر مراحلها التاريخية وفي محاولة لديمومة أستقرارها وحماية نفسها من الأخطار الخارجية لا بد لها أن أنشأت نظماً ووسائل دفاعية على حدودها ، ومما لاشك فيه أن هذه النظم والوسائل تطورت تبعاً لنوع الخطر ونوع العدو ، ولهذا يمكن القول أن الدولة الأموية أتبعت نظاماً يتماشى مع خصوصية الدولة والأخطار المحيطة بها شرقاً وغرباً وشمالاً فضلاً عن أفادتها من النظم القديمة عند الساسانيين والبيزنطيين .

وسنحاول في هذا البحث أن نقف عند الوسائل التي أستخدمها الأمويون في حماية حدود الدول العربية الأسلامية ومدى أفادة هذه الدولة من النظم المتبعة عند الغير في هذا الأتجاه سيما وأن الدولة الأموية كانت تواجه أخطاراً كبيرة من جهة الشرق والغرب والشمال دعتها الى أتباع نظام دفاعي جديد ، وللوقوف على هذا الجانب لابد من معرفة النظم المتبعة في حماية الحدود عند الساسانيين والبيزنطيين ومن تشخيص ما أعتمد من أنظمة جديدة في الدولة موضوع البحث والله الموفق ..

الباحث

نظام حماية الحدود عند البيزنطيينين والساسانيين

كانت الدولة البيزنطية محاطة بالأخطار ، أذ كان لها أعداء كثيرون تتلقى ضرباتهم وتستدعي منها الدفاع ضدهم لصد غاراتهم على الحدود من أمثال الوندال والسلاف والفرس والبلغار والقوط الشرقيين (١) فكانت سلسلة القلاع والحصون والخطوط الدفاعية على أطراف الأمبراطورية ، وكان هذا بطبيعة الحال نظاماً تقليدياً يبدو أنه كان عاجزاً عن توفير كل متطلبات الحماية لحدود الدولة الأمر الذي دعى جستنيان (٥٢٧-٥٦٧م) الأمبراطور البيزنطي الى أن يخصص فرقاً عسكرية مجهزة تقيم بشكل دائم وتستقر في تلك القلاع والحصون ومهمتها مسك الأرض الى حين وصول الأمدادات العسكرية دفاعاً عن حدود الدولة ، وهذا النظام عرف بنظام (النيود) أو التيما (٢) ، وهي كلمة يونانية تعني مجموعة من الجيش تقيم في الأقليم على الحدود مسؤوليتها توفير الحماية ومسك الأرض والمراقبة (٣) ، وهذه المجموعة أو الفرقة العسكرية لها حاكم عسكري له سلطات مدنية ومالية وقضائية يعاونه مجموعة كبيرة من الموظفين المدنيين والعسكريين وله آليات ونظام خاص في العمل ، فعلى سكان الولاية الحدودية في ظل هذا النظام أن تكون مسؤولة عن تحمل نفقات الجيش المقيم عندهم ، وتخصص الأراضي الزراعية كأقطاعات عسكرية للجند كتعويض مجزي عن قلة الرواتب المدفوعة لهم ، وقد أدت هذه البنود فضلاً عن دورها في حماية حدود الدولة البيزنطية أدواراً حضارية كوسيلة أتصال بين الشعوب للتبادل التجاري والثقافي (٤) .

أما النظام الساساني فقد كان له آلية أخرى في حماية حدود الدولة وأبتداءً من قيام هذه الدولة في عهد أردشير بابك في عام (٢١٢م) ، أذ قام بتقسيم الدولة الى أربعة ولايات وكان يلي كل ولاية منها حاكم أختلفت تسميته عبر العصور الساسانية المختلفة ، فكان (البدشنج) (٥) وهو لقب للولاة (المرازية) الأربعة الذين يحكمون الثغور في الجهات الأصلية وقد ألحق بهذه الوظيفة أقطاعات كبيرة في كل ولاية تمنح لواليها (٦) ، وهناك لقب (سترب) ثم أخذ هؤلاء الحكام يسري عليهم لقب المرازية (٧) وكلمة المرازية بحد ذاتها تشير الى حماية الحدود لأن هذه الكلمة معناها بالفارسية الحد فالمرزبان هو صاحب الحد لأن المرز بالفارسية هو الحد ، وكان هؤلاء الحكام يأتون بالمرتبة السلطوية بعد الملك وكانوا يعرفون بملوك الأطراف ويحملون لقب شاة (٨) ، ويظهر من خلال تتبع التاريخ الساساني وفي هذا الموضع بالذات أن النظام الأداري قد تغير في عهد كسرى أنوشروان (٥٣١-٥٧٩م) حيث أجرى تغييرات جذرية راعى فيها الطابع العسكري للولايات الأربع وعين لكل ولاية شخص لقبه (الاصبهيذ) وله نائب أسمه المرزبان وكان هؤلاء المرازية يقودون الجيوش تحت راية الاصبهيذ (٩) ، والولايات الأربعة هذه هي المشرق وخراسان وما ولاها والعراق حتى حدود الدولة البيزنطية وبلاد اليمن والولاية الرابعة بلاد الخزر وهي أذربيجان وما ولاها (١٠) .

ويبدو من خلال تتبع التاريخ الساساني أن هذه الولايات ما هي إلا ولايات حدودية ، فكان على والي خراسان (مرزبان خراسان) أن يكون مسؤولاً عن حماية الدولة من الجهة الشرقية والتصدي لغارات الطوخاريين والهايطلة والأتراك (١١) ، أما مرزبان الخزر وهي أذربيجان وما ولاهما فكان عليه أن يتصدى لغارات غزاة الهون من أبواب قزوين (١٢) ، ويبدو أن هذا المرزبان كان من الأهمية بحيث أجلسه الأمبراطور

الساساني على عرش من ذهب (١٣) ، بينما كان المرازية الأخرون يجلسون على عروش من فضة (١٤) ، ويبدو كذلك أيضاً أن هذه المنطقة كانت تحضى بأهتمام الأمبراطور الساساني كسرى أنوشروان الذي أمره بأقامة الأستحكامات والقلاع والحصون وأهتم بميناء بحر قزوين (الدرنيد) الذي سماه العرب باب الأبواب (١٥) ، وقد وصف المسعودي هذا الباب الذي يقع في منطقة جبلية (جبل القبخ) تتخللها الأودية والشعاب حيث وضعت مدينة الباب على هذه الأودية والتي قام كسرى أنوشروان ببناءها وجعلها حداً بينه وبين بحر الخزر ، وتمتاز بحصنها المنيع الذي هو عبارة عن قلعة كبيرة يقال لها طبرستان ، وهذه المدينة لها سور حولها قسم الى عدة أقسام بطول فرسخ لكل قسم ولها ابواب محصنة تحرسها مجموعة من المقاتلين الذين يقيمون فيها ، وكان الأمبراطور الساساني يهدف من ذلك حماية حدود الدولة من الغارات والأعتداءات المتمثلة بالخزر والترك وغيرهم (١٦).

ويبدو أن نظام حماية الحدود عند الساسانيين مشابه الى حد كبير لنظام حماية الحدود عند البيزنطيين لتشابه التنظيمات العسكرية عند الدولتين فيما يخص نظام الولايات العسكرية (التيما) عند البيزنطيين وتقسيم الدولة على أربعة ولايات عليها مرازية (ولاة عسكريون) عند الساسانيين (١٧) .

النظام المبكر لحماية الحدود عند المسلمين

أولت الدولة العربية الأسلامية أهتماماً بالغاً في حماية نفسها من الأعداء عند الحدود . وهذا يمكن أن نتلمسه بوقت مبكر بعد قيام دولة المدينة في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) وبعد أنتصاره على المشركين في معركة بدر وأجلاء بني قينقاع عن المدينة ، فكان يدرك (صلى الله عليه وسلم) أن خصوم الدولة الأسلامية الجديدة يتحفزون للثأر والهجوم المعاكس على المدينة ، لذلك كان لزاماً عليه أن يتخذ نظاماً دفاعياً عن طريق الهجوم ، فكانت بعد بدر سبع من الغزوات والسرايا على المشركين (١٨) وهذه الغزوات بحد ذاتها أشعاراً للأعداء بقوة المسلمين فضلاً عن حماية حدود الدويلة الناشئة وقبل أن تتسع بفعل عمليات الفتوح في المشرق والمغرب ، وكان من ضمن خطة الرسول (صلى الله عليه وسلم) التحرش بقوة البيزنطينين وحلفاءهم ، حيث أرسل حملة عسكرية نحو الحدود الشمالية فكانت معركة مؤته في جمادي الأول من ستة ثمان للهجرة (١٩) ، وعلى الرغم من قلة قوة المسلمين في هذه المرحلة إلا أن البيزنطينين كانت خشيتهم واضحة إذ أبدوا أقصى درجات الأستعداد والتأهب للقاء المسلمين (٢٠) ، وبغض النظر عن نتائج المعركة وظروف المسلمين فيها إلا أن هذه المعركة وغيرها تندرج في هدف حماية حدود الدولة ودرء الخطر الأجنبي أنطلاقاً من قاعدة مؤداها أن الأسلام قد أمر بالجهاد والمرابطة فقال تعالى { يا أيها الذين آمنوا أصبروا وصابروا ورابطوا وأتقوا الله لعلكم تفلحون } (٢١) ، وقد وردت أحاديث كثيرة ترغب المسلمين بالمرابطة للعدو وحماية حدود الدولة ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : { من رابط ليلة في سبيل الله كانت كألف ليلة قيامها وصيامها } وقال (صلى الله عليه وسلم) : { رباط يوم في سبيل الله خيرٌ من الدنيا وما فيها } (٢٢) ، وتماشياً مع الخطر الماثل أمام المسلمين من البيزنطينين خاصة جاء نظام المرابطة على الحدود نظاماً أسلامياً

يتماشى مع ما أمر به الأسلام من وجوب التصدي لخطر العدو فوجدت المسالح والتي هي عبارة عن مراصد في مواقع معينة يقيم فيها أفراد مستعدون على الدوام لمراقبة العدو لئلا يطرقهم على حين غرة ، وعليه يشعرون بأن هناك نوعاً من المداهمة والأعتداء أو الأستعداد من قبل العدو للقيام بذلك عليهم إخبار القطعات العسكرية من خلفهم للتأهب والأستعداد للمواجهة (٢٣) ، أن هذه المسالح والربط حلت محل القلاع والحصون البيزنطية على الحدود الشمالية والغربية بعد عمليات الفتوح في بلاد الشام وما بعدها في العهد الراشدي ومن ثم العهود التي تلته ، فضلاً عن أنشاء حصون وقلاع جديدة وعبأت بالمقاتلين وحشدت بالمؤن والذخائر وبنيت فيها المساجد (٢٤) ، لتكون أشبه بالمدن العسكرية للحفاظ على حدود الدولة ، وضمن سياق هذه الخطة التي اعتمدها المسلمون في حماية حدود الدولة ، فقد عملوا ومنذ' عهد الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب (رض) ومن بعده الخليفة عثمان (رض) على أنزال القبائل العربية بمنطقة الثغور مع السماح لهم بزراعة الأرض التي لا مالك لها وبذلك كانت بداية مهمة لسياسة الدولة الدفاعية على حدودها (٢٥) .

وعلى هذا عملت تلك الحصون والقلاع على تثبيت خط الحدود وتأمينها في أوقات الضعف وكانت مراكز للوثوب أو قواعد للهجوم الى ما وراء الحدود في زمن القوة أذ نضمت الغارات الموسمية التي عرفت بأسم الصوائف والشواتي لخدمة هذا الغرض منذ' بدء الحروب عبر سلسلة جبال طوروس (٢٦) فضلاً عن أن هذه الغارات كانت وسيلة لجمع المعلومات عن العدو وتدريباً متواصلاً للجنود على القتال تحت ظروف تختلف عما ألفه المقاتلون المسلمون في الجزيرة العربية ولم يقتصر هذا النشاط العسكري الحدودي على جبهة دون أخرى سواء أكان مع البيزنطينين أو الفرس ، فكان الخليفة عمر بن الخطاب (رض) يبعث في كل سنة غازية من أهل المدينة ترابط بالأسكندرية وكان يوصي والي مصر عمرو بن العاص بأن يكثف رابطتها ولا يغفل عنها لتكون بمنأى عن هجمات الروم البحرية ، كما نجد الأهتمام نفسه بهذا الثغر البحري في عهد الخليفة عثمان بن عفان (رض) (٢٧) .

حماية الحدود في العصر الأموي

أستمر نظام حماية الحدود الذي كان معمولاً به في العهد الراشدي تجاه جبهات المواجهة مع العدو في العصر الأموي وأن معاوية بن أبي سفيان أعتلى منصة الدولة الجديدة والذي كان له باع طويل في حماية هذه الحدود يوم كان والياً على الشام ومنذ عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رض) وكان عليه أن يستمر في هذا النهج ويفتش عن أصول وقواعد ثابتة براً وبحراً لأنجاز متطلبات هذا العمل دعماً للأستقرار والأمن وتوسيع رقعة الدولة من خلال عملية الفتوحات في المشرق والمغرب ، وقد أعتمد نظام حماية الحدود في الدولة الأموية على القواعد الأتية :-

١-نظام الصوائف والشواتي :

عمد معاوية بن أبي سفيان والخلفاء الأمويون من بعده على العمل وفق هذا النهج من الحملات العسكرية الصيفية والشتوية المنتظمة براً وبحراً فالدولة الأموية أتخذت من

دمشق عاصمة لها وأصبحت بذلك قريبة من الحدود البيزنطية ولذلك كان عليها الأستيلاء على حصون العدو الحدودية وترتيب القوات المرابطة فيها ولعل أهم الحصون التي أستولى عليها العرب في عهد معاوية بن أبي سفيان (٤١-٦٠هـ) هو حصن ملطية (٢٨) ، فالبيزنطيون باتوا يشكلون خطراً كبيراً على حدود الدولة سيما وأن هذا العدو كان يحلم بأستعادة هذه الأرض الغالية التي فقدها والى الأبد أثناء عمليات تحريرها من قبل العرب المسلمين في العهد الراشدي ، وحملت هزيمتهم في معركة اليرموك سنة (١٥هـ) أمبراطورهم على اليأس من أسترجاع بلاد الشام مرة أخرى من أيدي المسلمين فقد ذكر البلاذري أنه لما بلغ هرقل خبر أهل اليرموك وأيقاع المسلمين بجنده هرب من أنطاكية الى القسطنطينية ، فلما جاوز الدرب قال :

"عليك ياسورية السلام ونعم البلد هذا للعدو "(٢٩) ، أذاً والحالة هذه كان لابد من مواجهة القوة بالقوة ، فكان نظام الصوائف والشواتي للدفاع عن الثغور الأسلامية أي مناطق الحدود التي تتكون من سلسلة جبال شاهقة فيها جبل اللكام (أمانوس) الممتد على طول الثغور من البحر المتوسط حتى بحر قزوين وكانت الثغور تتألف من جناحين أحداهما من ناحية الشام عرف بثغور الشام او الثغور الشامية والأخر من ناحية الجزيرة عرف بثغور الجزيرة ، فكانت ثغور الشام للدفاع عن أقليم الشام والأغارة على أرض البيزنطينين في أسيا الصغرى وثغور الجزيرة للدفاع عن شمال العراق وللحملات التي تقوم منه على بيزنطة (٣٠) ، حيث الحصون العديدة في الجبال او مسالح المراقبة او المدن الحصينة على ملتقى الطرق مثل منبج وأنطاكية وطرطوس وأذنة ومرعش والمصيصة وملطية (٣١) .

أن المتتبع لهذه الحملات يجد أنها أخذت طابعاً منتظماً للخروج أبتداءً من سنة (٤٣هـ) ، فهي حملات سنوية يمكن القول عنها أن هدفها الدفاع عن الثغور الأسلامية أو لزحزحة العدو الى الوراء والأستيلاء على حصونه التي كانت تواجه حصون المسلمين فهي تغزو الروم بأهل الشام والجزيرة صائفة وشاتية مما يلي الثغور الشامية والجزيرة (٣٢) ، ولم تتوقف هذه الحملات البرية والبحرية إلا فترة قصيرة في خلافة عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ) ، عندما فكر بأخلاء الثغور الشامية وهدم الحصون بين المصيصة وأنطاكية وكان يخشى أن يحاصر الروم هذه المناطق ، ولكنه تراجع عن هذا القرار بعدما أشعر من قبل المسلمين أن وجود هذه الحصون ما هو الأ حماية لحدود الدولة من غارات الروم البيزنطينين ودفاعاً لهم عن أنطاكية وأن إخلاءها يعني كشفاً لساحة الدولة أمام العدو فتوقف عن ذلك وتراجع (٣٣) .

ويبدو أن سياسة عمر بن عبد العزيز العسكرية في هذا الجانب كانت تنطلق من خشيته على المسلمين من أن يغرر بهم في تلك المناطق البعيدة ، فقد أراد أن يخلي الأندلس من المسلمين خشية من تغلب العدو عليهم في تلك المناطق البعيدة وراء البحر ، ولكن القائد هناك السمح بن مالك الخولاني كتب أليه من أن المسلمون لاتنقصهم القوة وأن أقوامهم ثابتة ، فتخلى عمر عن فكرته (٣٤) ، وكذلك الحال في المشرق عندما أمر عبد الرحمن بن نعيم الغامدي وأليه على خراسان بأن يسحب المسلمين من بلاد ما وراء النهر ويوقف حملاته العسكرية هناك الا أن العرب في سمر قند رفضوا الأنسحاب بحجة عدم أتساع مرو لكل العرب تتحلى أيضاً عن فكرته بعد أن أستقبل وفداً من أهل سمر

قند الأصليين (٣٥) ولكنه أي الخليفة لم يتخلى عن فكرته بسحب الجيوش المحاصرة للقسطنطينية والتي أنطلقت لفتحها في خلافة سليمان بن عبد الملك (٩٦-٩٩هـ) فأمر قائد الجيوش هناك مسلمة بن عبد الملك بالأنسحاب والعودة الى الشام بعد أن وجه اليه تموينات كثيرة وأمدادات تساعده على الأنسحاب الأمن (٣٦) ، ولكن يبدو أن الأمر مختلف هنا فعلى الرغم من أستعداد العرب وتجهيزهم بالمواد التموينية ، لكن طول أمد الحصار وهجوم الشتاء وسوء الأحوال الجوية أدى الى قلة القوت فضلاً عن أستخدام البيزنطينين للنار الأغريقية التي دمرت قطعاً كثيرة من الأسطول العربي وشتت العواصف ما تبقى منه (٣٧) كان السبب وراء اتخاذ الخليفة عمر بن عبد العزيز قراره بأرجاع تلك القوات .

٢- الصلح مقابل المال

وهي وسيلة أستخدمها الخلفاء الأمويون في حالات الأنتكاسات والأخطار والتي لا قبل للجيوش الأموية من أيقاف تلك الأخطار على الحدود ففي الفترة التي سبقت قيام الخلافة الأموية بقليل وأثناء النزاع بين الخليفة علي بن أبي طالب) (رض) ومعاوية بن أبي سفيان ، أضطر الأخير على عقد هدنة مع الأمبراطور البيزنطي قنسطانز وأتباعه من الجراجمة على أن يدفع لهم مالاً عبارة عن أثارة لضمان سلامة أرض المسلمين (٣٨) ، والجراجمة هؤلاء أقوام متقلبون ينسبون الى مدينة أسمها جرجومة بالقرب من أنطاكية وأنهم صالحوا المسلمين على أن يبقوا على دينهم وأنتقل بعضهم الى جبال لبنان فهم تارة يظاهرون المسلمين وقت القوة وينقلبون مع الروم في حال ضعف قوة المسلمين (٣٩) ، وقد أستخدمت الدولة الأموية هذا الأسلوب في أوقات الفتن والأضطرابات ، فعندما أنتكس الميدان الحربي بعد وفاة معاوية بن أبي سفيان ، وأستمرت حالة الأنتكاس هذه حتى شملت معظم عهد خلافة عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ) وأنتهز الروم البيزنطينين الفرصة بمهاجمة ثغور المسلمين والأستيلاء عليها (٤٠) ، ومهاجمة السواحل الشامية وهدم المدن المطلة على الساحل مثل صور وعكا وعسقلان (٤١) ، وأزاء هذا الوضع أضطر المسلمون على شراء سلامة حدود دولتهم بالمال ، فقد صالح عبد الملك بن مروان ملك الروم على أن يؤدي له في كل جمعة ألف دينار خوفاً على المسلمين (٤٢) ، ولكن عندما توفرت الظروف الملائمة لأستخدام القوة لحماية حدود الدولة وأعادة الأمور الى نصابها عمل عبد الملك بن مروان على أسترداد ما أستولى عليه البيزنطينيون من ثغور المسلمين وأعاد نظام الصوائف والشواتي وحصن القلاع وأرفدها بالمال والسلاح والأفراد (٤٣) ، وهكذا سار نظام حماية الحدود بقسميها الحربي والمالي جنباً الى جنب مع حركة الفتح الأسلامي فجاء نظاماً أسلامياً يتماشى مع ما أمر به الأسلام من وجوب مرابطة الغزو في نحور الأعداء .

٣-الأستقرار السكاني في مناطق الحدود

وهو أسلوب أتبعته الدولة في العصر الأموي لمليء مناطق الثغور البحرية والبرية بالناس من العرب وغيرهم ومن خلال أنشاء قواعد ثابتة للمرابطة يرابط فيها المجاهدون بصفة دائمة وتوفير جميع مستلزمات الأستقرار لهم من خلال فرض العطاء لهم وأدامة

الأراضي الزراعية ، حتى أصبحت هذه القواعد الحدودية أو الربط أماكن يقصدها المسلمون للجهاد في سبيل الله (٤٤) ، وأصبحت مدينة مرو وهي عاصمة خراسان قاعدة عسكرية للعرب في خراسان وتنقل الى هذه البلاد خمسين ألف مقاتل بعيالاتهم من الكوفة والبصرة وشكلوا قاعدة أستقرار عربي مهمة في المشرق دفاعاً عن الحدود الشرقية للدولة في هذا العصر (٤٥) ، وقد حققت هذه الوسيلة أهدافها حتى أن ملكة نجارى خاتون طالبت بالصلح والرضوخ لقوة المسلمين وتعهدت بدفع مبلغ كبير من المال اليهم (٤٦) ،

٤-مهاجمة عاصمة البيزنطينين

وهو اسلوب اخر اتبعه الأمويون لأضعاف البيزنطينين وجعلهم في موضع الدفاع دون الهجوم واشعارهم بقوة المسلمين ، فكان أن هوجمت القسطنطينية عاصمتهم مرتين خلال العصر الاموي الاولى كانت في خلافة معاوية بن أبي سفيان والأخرى في خلافة سليمان بن عبد الملك (٤٧) ، وأذا كانت الحملة الأولى قد لاقت صعوبات كبيرة في دك أسوار القسطنطينية وحرق سفنهم بالنار اليونانية فقد عرفوا في الحملة الثانية سر هذه النار ، كما انهم أعادوا السيطرة على جزيرة قبرص وهاجموا جزيرة قوصرة وأستولوا عليها (٤٨) ، وأصبحت قاعدة عسكرية من قواعد الأسطول العربي ، وأعطيت قيادة الحملة الى مسلمة بن عبد الملك وكان سليمان بن عبد الملك يشرف بنفسه على أدارة العمليات (٤٩) ، ولسنا بصدد الخوض في تفاصيل المعارك والأسباب التي أدت الى فشل هذه الحملة دون الأستيلاء على القسطنطينية ، لكننا نريد القول أن هذا الأسلوب في دك معقل البيزنطينين وعاصمتهم كان واحداً من الأساليب التي أستخدمها الأمويون لحماية حدود دولتهم من الأخطار الماثلة على حدودهم وبالأخص الجانب البيزنطي .

٥-بناء القلاع والحصون

أهتم الأمويون ببناء القلاع والحصون ونقاط المراقبة المتقدمة ورفدها بالمقاتلين خشية من أن تؤخذ مناطق الحدود على حين غرة وتدخل جيوش الأعداء حدود الدولة ، وكانت نقاط المراقبة هذه والتي كانت تسمى بـ(المسلحة) التي رتب لها ما بين (٤٠-٥٠) مقاتلاً تتوفر فيهم شروط الشدة والعزم (٥٠) .

أما القلاع والحصون هذه فالقسم الكبير منها قد جدد وتمت أدامته بعد أن خرب من قبل البيزنطينين الفارين والمتقهقرين في المعارك وبما يتلاءم مع خطط الأمويين في دفاعهم عن حدود دولتهم (٥١) .

ب-حدود الدولة الشرقية

لم يقتصر نظام حماية الحدود على الجناح الغربي للدولة في العصر الأموي وأنما انسحب أهتمام الدولة بهذا الجانب على جميع حدود الدولة ومنها الشرقية تماشياً مع السياسة القائمة على توسيع رقعة الأسلام والحفاظ عليه تجاه الأخطار الخارجية ، فالظروف الحربية على الجانب الشرقي للدولة أستدعت نظاماً للحماية ينطلق من ضرورات الأستقرار في تلك المناطق وقد بدأ هذا مبكراً ومنذ عهد الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب (رض) عندما وزع الأراضي التي فتحت في شرق فارس على فاتحيها

من المقاتلين المسلمين وسماها الثغور الهندية ليكونوا أكثر حرصاً على حمايتها وأدامتها وسداد ثغرها (٥٢) ، وبدأ المسلمون يبدون أهتماماً للقواعد التي كان الساسانيون من قبل يتخذونها مسالح لحماية حدود دولتهم تجاه الأخطار الخارجية المتمثلة بغارات الخزر واللان والترك فكانت قزوين قاعدة متقدمة لهم (٥٣) ، ثم أصبحت كذلك على هيأة قاعدة ثابتة يقيم فيها المقاتلة وبشكل دائم مع توفير مستلزمات الأستقرار للجند من خلال أقطاع الأراضي والضياع لهم ليكونوا أكثر تماسكاً وأندفاعاً في مواجهة الأعداء والحفاظ على نشر الدين الأسلامي في تلك الأصقاع (٥٤) ، ومن القواعد الأخرى على جناح الدولة الشرقي مكران التي أصبحت مصراً من أمصار الدولة العربية الأسلامية في العصر الأموي وفي خلافة معاوية من أبي سفيان (٥٥) ، أما خراسان فقد حضيت بأهتمام العرب المسلمين لما كانت تتمتع بها من أهمية في الجناح الشرقي للدولة ، فقد حضيت هذه المنطقة بأهتمام الساسانيين من قبل حتى أنهم ميزوا مرزبانها بلقب (كنارنج) وهي وظيفة حربية لاتناط إلا لأفراد من الأسرات الساسانية المهمة (٥٦) ، ونظموا أدارتها لمواجهة أعداء الدولة سيما وأنها كانت ملاذاً للفرق المناوئة للساسانيين كالمانويين والمزدكيين فضلاً عن النصارى واليهود (٥٧) كما أنها كانت مهددة تهديداً متواصلاً من القبائل البدوية الوافدة من أسيا الوسطى كالطوخاريين والهياطلة والترك (٥٨) ، أذاً والحالة هذه كان لابد للعرب المسلمين أن يهتموا بهذه المنطقة بعد تمصيرها وهذا ما كان أذ سعى المسلمون الى تثبيت أقدامهم في أقاليم المشرق والدفاع عن حدودها خاصة وأن هناك من الأخطار ما يهدد كيان الدولة الجديدة وامتدادها في المشرق فخطر الهياطلة قائم ومنذ العهد الساساني ، وبدأ خطرهم يظهر منذ بداية عمليات الفتوح الأسلامية لخراسان في قوهستان وفي مدن وقرى مرو الروذ وهراة (٥٩) ، كذلك كان خطر الطوخاريين الذين قادوا حروباً ضد المسلمين وظلوا يثيرون القلاقل حتى وقت متأخر من الفتح العربي لخراسان (٦٠) ، وعلى هذا كان العرب المسلمون في العصر الأموي يدركون تماماً الأدراك أهمية الأستقرار في خراسان للأنطلاق منها الى ما وراء نهر جيحون فالحاميات التي كان يتركها الجيش المقاتل هناك (٦١) لم تكن كافية لتحقيق الأهداف المرجوة فضلاً عن بعد المسافة بين العراق حيث المقاتلين في الكوفة والبصرة وبين مرو قاعدة الهجوم والأنطلاق في خراسان ووعورة الطرق وصعوبة المواصلات ، هذا كله استدعى أدخال النظام الثغري في خراسان (٦٢) من خلال عملية الأستيطان العربي هناك لمواصلة مسيرة الفتوح وتحويل خراسان الى ثغور الأسلام بما يعنيه من هجرة المسلمين أليه والأقامة الدائمة فيه هو ذاته حل للمشكلات السكانية في المصرين وبخاصة في البصرة إذ أن توقف الفتوحات في سنوات الفتنة أثر مقتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه) واقناع بعض الأقاليم عن دفع ما عليها من أثارة كل ذلك أضر بيت المال في البصرة وصار عاجزاً عن تقديم العطاء لغالبية المهاجرين الجدد الذين أزداد عددهم فيها وصاروا يشكلون خطراً يهدد وحدة العشيرة وأمن المدينة فدخل الثغر الجديد سيؤمن عطاء وارزاق الوافدين اليه من العراق فضلاً عن أنه سيستوعب الفائض السكاني (٦٣) .

الخاتمة

بعد أن أنهيت هذا البحث لابد من الوقوف على الأستنتاجات التي خرج بها والتي يمكن أجمالها بالأتي :-

١- أن أي نظام أداري او عسكري سواء أكان ذلك في الفترة موضوع البحث أو غيرها لايمكن أن ينحصر بدولة أو عصر ويحسب كمستحدث اصيل وأنما لابد له من أمتدادات تاريخية سابقة .

٢- هناك تشابه واضح بين نظام حماية الحدود عند الساسانيين والبيزنطينين كما أن نظام حماية الحدود عند الأمويين له بعض أوجه الشبه مع النظم السابقة .

٣- أستحدث الأمويون وسائل جديدة لحماية حدود الدولة من الأخطار الخارجية وتمثل هذا بأسلوب الحملات العسكرية السنوية المنتظمة المعروفة بالصوائف والشواتي أو أسلوب الهجوم خير وسيلة للدفاع وأشعار العدو دائماً بقوة المسلمين من خلال دك معاقلهم في عقر دارهم كما هو الحال في الحملتين على القسطنطينية في عهدي معاوية بن أبي سفيان (٤١-٦٠هـ) وسليمان بن عبد الملك (٩٦-٩٩هـ) .

٤- لم يتوانى الأمويون من أستخدام كل الوسائل لدرء الأخطار وعدم تحرش العدو بالحدود ولاسيما في فترات الضعف والأنتكاسات بأستخدام المال ودفع الأتاوات .

٥- أدى الأهتمام بحماية الحدود الى نشوء مدن ثغرية أستوعبت أعداد كبيرة من المهاجرين من مدن وأقاليم الدولة والأستفادة من الأمتيازات الممنوحة لسكان كل المدن من الأقطاعات الزراعية والعطاء وغيره .

الهوامش والحواشي

١- فتحي عثمان ، الحدود الأسلامية البيزنطية ، (ص٨١-٨٦) .
٢- المسعودي ، التنبيه والاشراف ، (ص١٥٠) .
٣- المصدر نفسه ، (ص١٥٠) .
٤- مؤنس ، فجر الأندلس ، (ص٥٥٥-٥٥٦) محمد توفيق صادق ، ثغر خراسان ، ص٢٧ .
٥- كرستنسن ، أيران في عهد الساسانيين ، ص١١ ، ص٨٨ .
٦- المصدر نفسه ، ص١١ ، ص٨٨ .
٧- المصدر نفسه ، ص١١ .
٨- المصدر نفسه ، ص١١ ، ٨٨ .
٩- الطبري ، تاريخ ، ٢/٩٨-٩٩ ، المسعودي ، مروج الذهب ، ١/٢٩٩ .
١٠- كرستنسن ، أيران ، ص٢٥٥ .
١١- أبن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص٢١٨ البلاذري ، فتوح ، ٢/٢٨٤ . الختل : وهي أرض جبلية عظيمة يخترقها نهر جيمون وتشكل أقليم غني فيه ذهب وبئر وفيه زروع وثمار . أبن حرقل ص٢٩٣ .
بلاد الترك تقع الى الشرق من نهر جيمون باتولد تاريخ الترك ص٨٥ .
الطوخارين : نسبة الى أحدى القبائل التي كانت تقطن في شمال نهر جيمون والتي تدعى بأسم قبيلة تخار ومدينة ظمارستان سميت بهذا الأسم نسبة الى الطوخاريين أبناء هذه القبيلة . (سعد زغلول ، الترك ص٦٢،٦٣، ابن الاثير، الكامل ٤/٥٢٣)
الهياكلة : هم مجاميع ربما من الأتراك أو الفرس سمتهم المصادر العربية بهذا الأسم وهم يقطنون المنطقة التي تقع بين نهري سيمون وجيمون ومحتمل أن يكون أصلهم من الهونيين (المغول) الذين جاءوا الى بلاد ما وراء النهر وأختلطوا بأهلها وأستطاعوا أن يحكموها في حدود القرن الخامس الميلادي حتى أصبحت هذه البلاد تعرف بأسم هيطل أضافة الى أسم بلاد ما وراء النهر (ياقوت ، معجم البلدان ، ٥/٤٢٢ ، عبد الحي شعبان ، الثورة العباسية ، ص٤١-٤٤ .

١٢-كرستنسن ، أيران ، ص٩٤ .
١٣- الطبري ، ٩٨/٢-٩٩ ، المسعودي ، مروج الذهب ، ٢٦٦/١ .
١٤- المصدرين نفسيهما .
١٥- لسترايخ ، بلدان ، الخلافة الشرقية ، ص٢١٤-٢١٥ .
١٦- مروج الذهب ، ١٩٨/١-١٩٩ .
١٧- كرستنسن ، أيران ، ٣٥٥-٣٥٦ .
١٨- الواقدي ، المغازي ، ١٧٩/١ ،
١٩- أبن هشام ، السيرة ،٣٧٣/٢ .
٢٠- المصدر نفسه ، ٧١٠/٢ .
٢١- سورة آل عمران : الأية ٢٠٠ .
٢٢- لمزيد من التفاصيل حول الربط والمرابطة يمكن الرجوع الى الطبري ، تفسير ، ٥٠١/٧-٥٠٩ / ابن كثير ، تفسير ١٨٣/١ .
٢٣- المصدرين نفسيهما .
٢٤- البلاذري ، فتوح ، ١٥٨-١٥٩ .
٢٥- المصدر نفسه ، ص١٧٨،١٧٧،١٧٥، فتحي عثمان ، الحدود ، ٢٧٧/١ .
٢٦- المصدر نفسه ،ص١٧٨ ،١٩٤ ،١٩٥ .
٢٧- الطبري ، تاريخ ، ٢٢١/٤ ، محمد توفيق ، ثغر خراسان ، ص٣٢ .
٢٨- البلاذري ، فتوح ، ص١٨٩ .
٢٩- فتوح البلدان ، ص١٤٢ .
٣٠- المصدر نفسه ، ص١٨٧ وما بعدها .
٣١- المصدر نفسه ، وينظر فتحي عثمان ، الحدود الأسلامية ، ١٣٢/١ .
٣٢- البعقوبي ، تاريخ ، ٢١٤/١،٢١٢،١٩٣، الطبري ، تاريخ ٢٠٢/٦ ،٣٢١ ،٣٣٠ ،٣٣١ ،٣٨٥ ، ٤٢٦ ، ٤٣٤ ، ٤٣٩ ، ٤٤٢ ، ٤٥٤ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٨٣ ، ٤٩٢ ، ٤٩٥ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٣٠ .
٣٣- البلاذري ، فتوح ، ١٩٦-١٩٨ .
٣٤- حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، ص٣٦-١٣٧ .
٣٥- اليعقوبي ، تاريخ ٤٥/٣٢ .
٣٦- البلاذري ، فتوح ، ص١٦١ .
٣٧- المصدر نفسه ، ١٥٩-١٦٠ .
٣٨- المصدر نفسه فتوح ، ص١٦٣-١٦٧ .
٣٩- المصدر نفسه .
٤٠- المصدر نفسه ، ص١٨٩ .
٤١- المصدر نفسه ، ١٦٤ .
٤٢- المصدر نفسه ، ص٢٠٧-٢٠٨ .
٤٣- المصدر نفسه ، ص١٦٤ .
٤٤- ياقوت معجم البلدان ، ٨٠/٢ مادة ثغر .
٤٥- البلاذري ، فتوح ، ص٤٠٠ ،
٤٦- المصدر نفسه ، ص٤٠١ .
٤٧- المصدر نفسه .
٤٨- البكري ، المسالك ، ص٤٥ .
٤٩- المصدر نفسه ، ص٤٥ .
٥٠- البلاذري ، فتوح ، ١٥٨ ، ١٥٧ ، ١٧٨ .
٥١- البلاذري ، فتوح ، ص١٦٩ .
٥٢- المصدر نفسه .
٥٣- المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص٩١ ، الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ، ص٧٠ .
٥٤- ياقوت ، معجم البلدان ، ٣٤/١ .
٥٥- ح
٥٦- أبن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص١٨ ، الطبري ، تاريخ ، ٩٨/٢-٩٩ .
٥٧- المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص٩١ ،كرستنسن ، أيران في عهد الساسانيين ، ص١١ .
٥٨- المصدر نفسه .
٥٩- أبن خياط ، تاريخ ، ١٤٤/١-٨٢٢ ، اليعقوبي ، تاريخ ، ١٦٠/٢ ، الطبري ، تاريخ ، ٦٤/٥ .

٦٠- الطبري ، تاريخ ، ٢٩٨/٥ . والطوخاريون هم شعوب كانت تقطن على جانبي نهر جيمون الى الشرق من بلخ وتمتد حتى ممرات هند كوش الجبلية وان طخارستان سميت نسبة الى الطوخاريين ، بارتولد ، تركستان ، ص١٤٨ .
٦١- الطبري ، ٢١٦/٤ .
٦٢- شكري فيصل ، الفتح الأسلامي في القرن الأول الهجري ، ص٢٠٠ .
٦٣- البلاذري ، أنساب الأشرف ، ١٦٧/٥ ، صالح العلي ، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الاول الهجري ، ص٤٩ ، ١٤٢ ، محمد توفيق صادق ، ثغر خراسان ، ص٣٩ .

المصادر

القرأن الكريم
أبن الأثير ، عز الدين علي بن ابي الكرم (ت ٦٣٠هـ)
-الكامل في التاريخ ، دار صادر – (بيروت ، ١٩٦٥ – ١٩٦٦) .
البكري ، ابو عبد الله بن عبد العزيز القرطبي ، (ت ٤٨٧ هـ)
-المسالك والممالك ، تحقيق الدكتور عبد الرحمن علي الحجي ، دار الأرشاد للطباعة والنشر بيروت ١٩٧٣ .
البلاذري ، احمد بن يحيى ، (ت ٢٧٩ هـ)
-فتوح البلدان ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، (القاهرة –ب ت) .
أبن حوقل ، أبو القاسم محمد بن علي النصيبي ، (ت ٣٦٧ هـ)
-صورة الارض ، منشورات دار مكتبة الحياة ، (بيروت -١٩٧٩) .
أبن خرداذبة ، أبو القاسم عبد الله بن عبد الله بن أحمد (ت ٣٠٠ هـ)
-المسالك والممالك ، بأعتناء دينحوية ، ليدن ١٨٨٩م .
أبن خياط ، أبو عمرو خليفة بن شباب العصفري (ت ٢٤٠ هـ)
-تاريخ خليفة ، تحقيق سهيل زكار ، منشورات دار الثقافة والأرشاد القومي ، (دمشق -١٩٦٧) .
الخوارزمي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف (ت ٣٨٧ هـ)
-مفاتيح العلوم ، المطبعة الميزية ، (القاهرة -١٣٤٢ هـ) .
الطبري ، محمد بن جرير ، (ت ٣١٠ هـ)
-تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد ابو الفضل أبراهيم ، القاهرة -١٩٦٠-١٩٦٩ .

-جامع البيان في تأويل القرآن ، المعروف بأسم تفسير الطبري (دار المعارف ، القاهرة بأشا) .
أبن كثير ، عماد الدين أبو الفداء أسماعيل بن عمر ، (ت ٧٧٤ هـ)
-البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، (بيروت ١٩٧٤)
-تفسير القرآن الكريم ، طبعة دار أحياء الكتب العربية (القاهرة –ب ت) .
المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي ، (ت ٣٤١ هـ)
-التنبيه والأشراف ، عني بتصحيحه عبد الله اسماعيل الصادي (القاهرة – ١٩٣٨)
-مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق يوسف داغر ، دار الأندلس ، (بيروت – ١٩٦٥) .
ياقوت ، شهاب الدين أبو عبد الله الحموي ، (ت ٦٢٦ هـ)
-معجم البلدان ، دار صادر (بيروت – ١٩٥٥ – ١٩٥٧) .
اليعقوبي ، احمد بن ابي يعقوب بن جعفر ، (ت ٢٨٤ هـ)
-تاريخ اليعقوبي ، (النجف – ١٣٥٨ هـ) .

المراجع

بروكلمان ، كارل
-تاريخ الشعوب الأسلامية ، ترجمة نبيه فارس ومنير البعلبكي ، (بيروت – ١٩٦٨ ، حسين مؤنس ، فجر الأسلام ، القاهرة – ١٩٥٩ م) .
-شكري فيصل ، حركة الفتح الأسلامي في القرن الاول الهجري ، (بيروت – ١٩٥٩).
-صالح أحمد العلي ، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الاول الهجري ، (بيروت – ١٩٥٩) .
-فاروق عمر ، طبيعة الدعوة العباسية ، (بيروت – ١٩٧٠) .
-فتحي عثمان ، الحدود الأسلامية البيزنطية بين الأحتكاك الحربي والأتصال الحضاري ، الدار القومية للطباعة والنشر ، (القاهرة – ٥ ت) .
-كرستنسن ، أرثر ، أيران في عهد الساسانيين ترجمة الدكتور يحيى الخشاب (القاهرة – ١٩٥٧) .
-لسترنج ، جي ، بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة بشير فرنسيس (بغداد -١٩٣٦) .